الاثنين 15/4/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (8)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

نحن في تفسير آيات من سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا * وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 17-20].

ذَكَرَ الله تعالى في معرض قصة أهل الكهف آياتٍ ربانية حمى الله تعالى بها أهل الكهف من أن يصيبهم ما أصاب الناس إذا طال نومهم، أو تركوا الطعام والشراب، أو تعرضوا لأشعة الشمس على مدى طويل.

قصة أهل الكهف معجزة كلها، وآية دالة على قدرة الله تعالى.

ومما ذكر الله تعالى من حال أهل الكهف أنه جل وعلا جعلهم في كهف بمعزل عن أن تصيبهم أشعة الشمس، لا في طلوعها ولا في غروبها.

تَزَاوَرُ: أي تميل.

تَقْرِضُهُمْ: أي تتركهم وتدعهم عن شمالها فلا تطلع عليهم ولا تغرب عنهم.

فَجْوَةٍ مِنْهُ: أي متسع داخل الكهف.

﴿ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾.

قال العلماء: إن تعرض الإنسان لأشعة الشمس وخاصة في وقت الظهيرة مؤذية للإنسان فمن تكرر منه التعرض لشمس الظهيرة فقد يصاب بأمراض جلدية.

أصل القيلولة هو النوم بعد صلاة الظهر، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو صحابته الكرام في الوقت الحار أن يبردوا عن صلاة الظهر فلا يصلُّوها في أول وقتها عند زوال الشمس عن كبد السماء بل يؤخروها قليلاً.

كان من عادة الصحابة أن يذهبوا لصلاة الظهر، فإذا خرجوا من المسجد ومشوا في الطريق تعرضوا لحرارة الشمس فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم لقيلولة النهار وتأخير الصلاة؛ ليبقى كل منهم في بيته وقت الظهيرة.

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ الرَّسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: ((أَبْرِدُوا عَنِ الْحَرِّ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ)) [مسلم].

﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ .

إن الذي يهديه الله عز وجل هو من يسلك طريق الهداية أما من سلك طريق الضلال فسيقع في الضلال.

لو أن إنساناً سلك الطريق الذي يتجه شمالاً فلا ريب بأنه سيصل إلى المناطق الشمالية، لكنه لو اتخذ الطريق المعاكس وهو يطلب من الله أن يهديه للشمال فلن يصل أبداً.

فمن صاحب الصالحين، ولازم مجالس العلم ومجالس الذكر وترك ما حرم الله عز وجل فقد سلك طريق الهداية.

عَن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ)) [البخاري].

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: 17].

فإذا لازمت أهل الهداية فإن الله سيزيدك من الهداية، وإن نويت مساعدة الخلق فإن الله سيمدك بمدد لمعونة الخلق، وإن نويت بر الوالدين ومشيت في هذا السلك فإن الله سييسر لك بر

الوالدين، وإن قررتَ أن تستيقظ على صلاة الفجر فإن الله سيجعل لك منبهاً من قلبك ليوقظك على صلاة الفجر.

وبالمقابل إذا أراد إنسان أن يخالف هذه الأمور فإن الله سيتركه ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5].

من نوى في هذه الأزمة أن يقتنص العباد فسيأخذ ما نوى ولكنه سيلقى عاقبة هذا الطريق من الضلال.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ .

قال العلماء: في هذه الآية معجزة علمية فإن الإنسان إذا كانت عيناه مغلقتان لفترة طويلة فإنه قد يصاب بالعمى؛ لأن الطب يقول: العضو الذي لا يعمل يتلف، ولو أنهم أفتحوا أعينهم من غير أن ترمش فهم متعرضون للغبار والحشرات والأمراض؛ ولذلك قال العلماء: أبقى الله أعينهم مفتوحة غير أنها ترمش.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ .

قال العلماء: في تقليب أهل الكهف إعجاز علمي؛ لأن الإنسان إذا استقر على حالة واحدة ووضعية واحدة من الجلوس فإنه سيصاب بتموتات ولأجل هذا ينصح الأطباءُ المرضى والكبار في السن الذين يتعرضون لسبات أو لمرض مقعد أن يتقلبوا حتى لا يصابوا بضغط يؤدي إلى تموتات.

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ .

في بقاء الكلب جالساً في مقدمة الكهف دون تحرك ذات اليمين وذات الشمال كأصحابه إعجاز علمي آخر، فإن علماء الطب البيطري يقولون: جلود الحيوانات أقسى من جلد الإنسان؛ لذلك فإن جلودهم لا تصاب بالتموت ما لو بقي الحيوان ممدداً دون حراك.

﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ .

من عادة الإنسان أنه يأخذه الرعب أولاً ثم يهرب ثانياً، لكن الآية تقول: إن من اطلع عليهم فسيفر ثم يأخذه الرعب.

الرعب رعبان:

أ. **رعب لشيء تعلمه:** وهو ما لو رأيتَهُ ترتعب ثم تهرب، كإنسان يعرف أفعى سامة فإذا رآها فسيرتعب ويهرب.

ب. **رعب لأمر لا تعلمه:** وهو ما يفاجئك فتهرب منه ثم ترتعب وهو ما يسمى بالأفعال الغير انعكاسية أو ألاّ إرادية، كإنسان يسير في الطريق فيأتيه صوت من شاحنة فيهرب باللاشعور قبل أن يفكر، ثم يعبر عن رعبه.

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ .

بعثوا بعد ثلاثمائة سنة ليرينا الله أنه كما بعثهم في الحياة الدنيا فسيبعثكم يوم القيامة خاصة وانهم بعثوا بين أقوام كانوا في شك من البعث.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ .

قال العلماء: من هذه الآية نعلم بأن أجسامهم وشعورهم وأظفارهم ظلت كما هي؛ لأنهم عندما استيقظوا لم يشعروا بتغير حصل بهم، ولو تبدل شيء لأنكروه.

﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .

الوَرِقْ: هو الفضة.

أَزْكَى طَعَامًا: أي فليختر لنا طعاماً طيباً وحسناً؛ لأنهم كما جاء في بعض الروايات أنهم أبناء أناس أثرياء، لكن لما عرض عليهم البقاء في الثراء مع الكفر أو المكث في الكهف مع الإيمان رموا المال تحت أقدامهم.

هذه نقطة مهمة جداً فنحن نريد أن نحصل من المال ما استطعنا، ومن الثياب أجمله، ومن الطعام أطايبه، ومن المناصب أرفعها لكن بشرط أن تكون من الحلال وأن لا يتعلق قلبك بكل هذا سواء كان طعاماً أو شراباً أو نساءً...

وعلامة عدم التعلق هي أنك إذا عرض عليك شيء من منصب أو نساء أو أموال وكان الخيار بينه وبين الانضباط بشرع الله فسيكون الخيار هو الامتثال لأمر الله، أما إن لم أختر ما يضي الله فهذا دليل على أن قلبي معلق بذلك الشيء.

﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ .

وَلْيَتَلَطَّفْ: فليحذر أن ينتبه له أهل المدينة لئلا يقبضوا عليهم فيؤذوهم أو يعيدوهم في الكفر.

القرآن الكريم صار واضحاً بأنه يقص علينا القصص؛ لأجل أن نفيد من عبرها فهذه القصة لها عبر علينا أن نبحث عنها لأجل أن نتمثل بها.

عبرةُ قصةِ أهل الكهف المجملة أن القوم امتحنوا امتحاناً صعباً وخُيِّروا بين البقاء في الرفاه والدَعَة والسعة والكفر وبين ترك هذه السعة والدعة والإيمان فاختاروا الإيمان.

هذا الامتحان كل منا سيتعرض له فإذا رميت ما نهى الله عنه نجحت في الامتحان كما نجح أهل الكهف، ولا ننسى أن أهل الكهف نجاهم الله مع ضعفهم وفتوتهم على خصمهم الملك، فكان الفوز لأصحاب الكهف، وكانت الخسارة للملك، والسبب ليس بالقصر أو الكهف لكن السبب بأنهم انضبطوا بأمر الله عز وجل ففازوا وذاك خالف أمر الله فخسر.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.